خطبة جمعة مفرغة

بعنوان

[تحذير المسلم من مساوئ وأضرار السب والشتم]

لفضيلة الشيخ

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله

الجمعة ١٥ شوال ١٤٤٤ هجرية

مسجد إبراهيم شحوح سيئون

فرغها : أبو عبد الله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

ومعنى الحديث: أن سب المسلم للمسلم فسق، وأن قتله له استحلالا كفر، والشاهد من هذا أنه لا يخرج عن الفسق إذا سب المسلم، والفسق قد يكون أكبر وقد يكون أصغر لأنه الخروج عن الطاعة كما قال الله عز وجل :{إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} أي خرج عن أمر ربه، وإبليس كافر أبى واستكبر وكان من الكافرين، فعلم بذلك أن إطلاق اللسان بالسب قد يكون فسقا أصغر وقد يكون فسقا أكبر، وقد يتمادى السب بالإنسان المتعود عليه إلى أنه لا يتحاشى من سب من يخطر على باله أو يذكر على لسانه، فقد وقع من المشركين سب الله، ووقع منهم سب رسل الله، ووقع منهم سب دين الله، لأنهم تعودوا ذلك ونشأوا عليه ولم يضبطوا ألسنتهم بالأحسن كما

قال الله عز وجل :{وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[الإسراء:53].

فما تأدبوا بأدب الله وأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدين الله، حتى إنهم كانوا إذا سمعوا القرآن يسبون الله ويسبون رسول الله ويسبون القرآن، فأنزل الله عز وجل:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (110)}[الإسراء:110].

وكانوا إذا سب المسلمين المشركين لا يكتفي المشركون بسب المسلمين بل يسبون الله عز وجل، قال الله :{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}[الأنعام:108].

فنهى الله عز وجل عن سبهم حتى لا يكونوا ذريعة إلى سب الله عز وجل الذات الإلهية، وكان لما تعودوا ذلك إذا حصل لهم في الدهر شيء يؤذيهم يسبون الدهر لاعتقادهم أن الدهر هو المقلب للأمور وأن الحوادث الحاصلة فيه منه، لأنهم مشركون لا يؤمنون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل :" يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار.

فكان هذا الفعل كفر لأنه إيذاء لله عز وجل، وقد قال الله عز وجل :{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (57)وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (58)}[الأحزاب:57،58].

قال :{وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)}[البقرة:57].

ولكن الله عز وجل لا يرضى بذلك يكره ذلك، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل :" يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، وابن آدم المذكور هذا هو الكافر الذي يسب الله ويسب دين الله، وكانوا يطعنون في الدين :{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26)}[فصلت:26].

الغوا فيه انطقوا وتكلموا، الغوا فيه أي لا تنصتوا، ومن معاني ذلك

الطعن في الدين وفي كلام الله حتى قال الله عز وجل :{ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (12) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (13)}[التوبة:12،13].

والشاهد من ذلك أن سب الدين إذا حصل من معاهد من ذمي معاهد أن ذلك نقض لعهده ونكث لذلك، فهذا أعظم من أن يسب أباك وأمك، كونه يسب دينك دين الحق، فسب الدين كفر، وهكذا سب الله سب رسوله، الله عز وجل يقول :{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (64)وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65)لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)}[التوبة:64،66].

وقد جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن هذا السب والشتم والاستهزاء هو لما كانوا في تبوك تلك الغزوة قال بعض المنافقين : ما رأينا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء من قرائنا هؤلاء، يعنون بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ووقعت منهم في تلك الغزوة عجائب ومنها قول كبيرهم: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ومنها قول كبيرهم : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وهذا طعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنهم أذلة وأن المنافقين هم الأعزة.

وهكذا أيضا هذا القول إتهام للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالجبن، واتهامهم لهم في أنهم أرغب بطونا لا همهم إلا الدنيا والأكل، واتهامهم لهم كذلك أيضا بالكذب، فأنزل الله القرآن في بيان سبهم

وشتمهم واستهزائهم :{قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)}.

قال الله:{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ}الآيات.

فهذا يدل على أن السب ليس مقصورا إلى الفسق فقط قد يكون فسقا وقد يكون كفرا مخرجا من الملة، وإن الانسان ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار سبعين خريفا، يتكلم بالكلمة من سخط الله يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه، ومنها بعض السب وإطلاق اللسان فيه، فإن سب رب العالمين الطعن في الله وفي الدين أو في رسول من رسل الله أو ملك من ملائكة الله كل ذلك لا يقتصر على على الفسق الأصغر بل فسق أكبر وهو الكفر بالله،{مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (98)}[البقرة:98].

قال الله سبحانه وتعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20)كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)} [المجادلة:20،21].

ولا أشد محادة من السب لله ولرسول الله ولدين الله ولعباد الله المؤمنين، من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وثبت عند أبي داود من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا أعمى صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من صلاته:"أنشدُ اللَّهَ رجلًا فعلَ ما فعلَ ، لي عليهِ حقٌ ، إلا قام . فقامَ الأعمى يَتخطى الناسَ ، وهو يتزلزلُ حتى قعدَ بينَ يدي النبيِّ

صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ فقال : يا رسولَ اللّهِ ! أنا صاحبُها ، كانَتْ تشتمُكَ وتقعُ فيكَ فأتهاها فلا تنتهي ، وأزجرُها فلا تنزجرُ ، ولي منها ابنانِ مثلَ اللؤلؤتينِ ، وكانَتْ بي رفيقةً ، فلمّا كانتِ البارحةَ جعلَتْ تشتمُكَ وتقعُ فيكَ ، فأخذْتُ المِغولَ فوضعْتُهُ في بطنِها واتكأتُ عليْها حتى قتلتُها ، فقال النبيُّ صلّى اللّهُ عليْهِ وسلّمَ : ألا اشهَدوا : أنّ دمَها هدرٌ.

وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمها بسبب شتمها لرسول الله صلى الله وسلم.

وكان كعب بن الأشرف يسب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم :" من لي بكعب الأشرف فإنه آذى الله ورسوله ؟ فذهب إليه محمد بن مسلمة وقتله.

والشاهد من ذلك أن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ردة، من بدل دينه فاقتلوه، فلهذا أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دم تلك المرأة، وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دم ذلك اليهودي بسبب ما حصل منه.

وهكذا ترى من كثير ممن تعود على السب أن ديدنه السب لأولياء الله الصالحين، بما في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصار من تربى على هذه العقيدة الفاسدة سباباً شتاماً لأولياء الله، عدوا لأولياء الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :" لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا، ذهب مثل جبل أحد ما هو عفنة، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، لا مد ولا نصف مد، ويأتي أناس في مثل هذه الأزمان ونحوها بعضهم عربيد عفريت أبعد ما يكون عن الله سبحانه وتعالى، فتراه يسب أخير الناس، أخير الناس في هذه الأمة ويطعن فيه ويقع في عرضه، أفضل الناس بعد أنبياء الله ورسوله أبي بكر وعمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين زوج رسول

الله صلى الله عليه وسلم، ويطعن في ذلك دون تورع، دون خوف من الله، دون محاسبة أو معاقبة من أحد، ولو أنه سب أو شتم إنسانا من الناس لرأيتهم يقيمون له الحكم والقضاء والشكاوي ومن مكان إلى لماذا؟ قال: سب أمي، وهو يسب أم المؤمنين بل ويسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين إلا النفر اليسير، وهذا عداء لأولياء الله وايذاء لهم، ألا يا عباد الله فليتق المسلم ربه، يتقي الإنسان ربه، ويحذر إطلاق اللسان بالشتم والسب، وإذا حصل من الإنسان خصام بينه وبين أخيه فليكن مرده إلى القضاء الشرعي، الصلح الشرعي، الحلول الشرعية حتى لا يتحمل ذنب السب والشتم، فقد ثبت عن أبي هريرة وجاء أيضا عن عياض بن حمار رضي الله عنهم أجمعين ، أن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" المُسْتَبّانِ ما قالا فَعَلَى البادِئِ، ما لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ.

اعلم إنه إن حصل سب بينك وبين الآخرين أن الحمل عليك والوزر على كاهلك، إلا أن يعتدي هو ويتجاوز هناك يأخذ قسطه، وإلا فإن الذنب على البادئ، والجرم على البادئ، والجناية عليه دنيا وأخرى، : {فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)}[البقرة:194].

هو المعتدي، اضبط لسانك أيها المسلم عن هذه الشنعاء، معصية الشنيعة إطلاق السباب والشتام المذهب للحسنات. والمكثر للسيئات، ففي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى عليه وسلم قال:" أتدرون من المفلس؟ قالوا يا رسول الله : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، هذا إفلاس دنيوي، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لهم الإفلاس الأخروي إفلاس الحسنات:"إنّ المُفْلِسَ مِن أُمّتي يَأتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا

مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمّ طُرِحَ في النّارِ.

ألا ترى أن إطلاق اللسان بالشتم والسب للمسلمين قولاً ونطقاً وفعلاً وتعريضاً:{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3)}[الهمز:1،3]
قولا أو تعريضا نطقا أو تعريضا أن هذا سبب الإفلاس، سبب ضياع الحسنات وتحمل السيئات من كواهل الناس على كاهله، هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الأدب الجم ومن ذلك عدم التعود على السب، فعود أولادك وعود طلابك وعود مجتمعك المسلم على تهذيب اللسان، يكون لسان مهذب يقول الخير، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا وليصمت، قولوا خيرا تغنموا أو اسكتوا عن شر تسلموا، جاء أبو جري جابر بن سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:" فرأيت الناس يصدرون عن رأيه كل ما قال قولا صدروا عن رأيه، قلت من هذا؟ قالوا هذا : رسول الله، فأتيته فقلت أنت رسول الله؟ قال : أنا رسول الله، الله الذي إذا أصابك عام سنة فدعوته انبتها لك، وإذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإذا كنت بأرض فلاة فظلت راحلتك فدعوته ردها عليك، الرجل أعرابي، قد يكون تضل راحلته في بادية في كذا، فقال : اعهد إلي يا رسول الله، قال: لا تسبن أحدا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الناس ما يعلم أنه ربما يحصل منهم، يحذرهم من الأخطاء كلا بحسبه، والأعراب يصدر منهم السب لباديتهم لعدم تعلمهم لأدب، فقال لا تسبن أحدا، قال ذلك أبو جري رضي الله عنه فما سببت حرا ولا عبدا ولا شاة ولا بعيرا.
اخذ هذا الدرس وهذا التعليم النبوي واستجاب لذلك استجابة

سريعة، ما خرج من لسانه بعد ذلك أي سب حتى لشاة حتى البعير فضلاً عن بني آدم، وقال ودخل النبي الله عليه وسلم على أم السائب وهي تزفزف من الحمى ترتعد، قال ما لك يا أم السائب؟ قالت : الحمى لا بارك الله فيها، قال: لا تسبي الحمى، يعني الدعاء قد يأتي بمعنى السب، هي تدعو وقال النبي صلى الله عليه وسلم :" إذا يصلي أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد فإنه لا يدري لعله يذهب يستغفر يسب نفسه، أي يدعو على لنفسه، لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم، حتى الحمى لا تسبها لهذا لأنها تكفير، لا تسب الحمى، وحتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سب الطير، طير من الطيور ديك، قال عليه الصلاة والسلام : لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة، يعني هذا آمر بمعروف، جاء في اللفظ الآخر" فإنه يدعو إلى الصلاة، إذا هذا داعي، قلنا الآن يسبون ويشتمون ويلعنون ويكذبون ويفترون على دعاة صلحاء أخبار من بني آدم من زمن قديم وحديث، هذا الديك الذي يدعو إلى الخير يدعو إلى الصلاة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبه، فخذ درسا من مثل هذا الحديث أن تعود نفسك عدم السب للأخيار والدعاة إلى الخير حتى ولو كان طيرا، لا تسبوا الديك، من شدة تعود بعض الناس في الجاهلية على السب إذا آذاه الريح سب الريح الهواء، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم :" إن الريح من رح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب، قال عليه الصلاة والسلام : فلا تسبوا الريح ولكن إذا رأيتم منها ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك خيرها ونعوذ بك من شرها، مسيرها الله، خالقها الله ، ما المكلف إلى أن تسب الريح؟ ولهذا صارت التعود له أهميته، فعود لسانك أيها المسلم على الكلام المهذب على ذكر الله وطاعة الله دون أن تكون سباباً أو لعاناً أو شتاماً، لشدة تعود بعض الناس على السي تجده ربما تجلس مع الإنسان مع صاحبه قد تعود وإياه المسابة، فهذا يسب هذا وهذا يسب

هذا على سبيل المزاح، ويسب كل واحد منهم أبا الآخر وأمه وهذه كبيرة من كبائر الذنوب، ففي الصحيحين، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"إنّ مِن أكْبَرِ الكبائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرّجُلُ والِدَيْهِ. قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، وكيفَ يَلْعَنُ الرّجُلُ والِدَيْهِ؟ قالَ: يَسُبُّ الرّجُلُ أبا الرّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمّهُ.

من سب أبا الناس سب أبا وأمه، فهذا يحصل بين الناس أنه يظن أنه ينتصر، وأنه شجاع، وأنه بطل، أو أنه يمزح مع أخيه ومتعود لذلك ومرح صاحب صدر فسيح فيتسابان ويوصل الأذى إلى أبيه وأنه، ومن أكبر الكبائر وارتكاب العقوق، يسب أباه يسب أمه، فاضبط لسانك لا يحصل منك العقوق لوالديك باللسان، وكبيرة من كبائر الذنوب، وتعود كثير من الناس سب للأموات لغير مصلحة شرعية، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال:" لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء.

فإذا كان سبك لهذا الميت يؤذي الحي لا تسبه، اللهم إلا أن يكون لمصلحة شرعية وجرح وتعديل وما كان مما استثناه أهل العلم وإلا تسب الأموات، افضوا إلى ما قدموا، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قال النووي رحمه الله : إلا لمصلحة شرعية متيقنة فيجوز ذلك للتحذير من الشر والدلالة على الخير، وإلا فلا فائدة من السب إذ أن معاد السب إلى الفسق.

وهكذا ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلك الصفة ويلعن فاعلها، ففي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"وَلَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ وَالِدَه، لعن الله من غير منار الارض، لعن الله من ذبح لغير الله.

وسمعتم أن اللعن والسب والشتم مترادف يحصل بينه ترادف، وأن اللعن والسب كقوله سواء سبه مباشرة أو تأفف منه، أو سخر منه، أو ما كان من ذلك مما مرده إلى السب، فهذا عقوق كبير ، عقوق عظيم.

ومن فضائل النجاشي عليه رضوان الله أنهم لما أوذي الصحابة في مكة وفروا بدينهم إليه أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتوه قال عليه الصلاة والسلام : رجل لن يظلم عنده أحد، فهاجروا إليه وتبعهم عمرو بن العاص وبعض المشركين آنذاك للوشاية بهم والأذية لهم فلما استبان النجاشي أنهم وشوبهم بغير حق قال للصحابة: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي من سبكم غرم، والله ما أحب أن يكون لي دبرا من الذهب جبل، وأن أحدا يتمسك بأذى، والشاهد أنه ما يمكن حتى من يؤذيهم بسبة، ومن سبهم سينال جزاءه من النجاشي، فصار هذا النجاشي عليه رضوان الله مترجما له في الصحابة ولو لم يلقى النبي صلى الله عليه وسلم لكن لشرفه و مكانته، وهكذا صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، صلوا على أخيكم أصحمه، رجل صاحب وفاء، صاحب شهامة، رجل إيواء ما يحب الأذى والشتائم والسباب في بلده لأناس صالحين، وكان من مناقب أهل عمان حين ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أن رجلا بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحياء من العرب فاتاهم فسبوه وضربوه فرجع فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو أتيت أهل عمان ما سبوك ولا ضربوك، هذه منقبة ذكرها الإمام مسلم في صحيحه، وبوب عليها النووي رحمه الله فضل أهل عمان، وجاء لفظ عمان البلقى وهو تصحيف، بل عمان وهذه فضيلة تدل على السكينة، تدل على أنهم ما تعودوا السب، تدل على تهذيب الأخلاق، اللهم إلا أن يطرأ فكر من الأفكار وإلا فهذا شيء متأصل فيهم أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المنقبة ما يسبون ولا يشتمون، لو أن أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك.

الخطبة الثانية.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهدى، أما بعد أيها الناس: إن الإنسان بحاجة إلى تهذيب نفسه وضبطها بالأدلة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يكون ذلك إلا بالتربية الصحيحة، التعليم الصحيح، التعود الصحيح، المجالسة الشرعية الصحيحة، حتى يخرج الإنسان من المذمات والمثالب إلى الخيرات والمناقب في قوله وفعله ومعتقده وحركاته وسكناته وجميع شؤونه، ولهذا أي إنسان يريد الله به خيرا يفقهه في الدين، يفقهه في هذه العلوم الشرعية، فهذه هي مناط الرفعة،:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[المجادلة :11]

أن يعلم الإنسان ما له وما عليه، ويعلم أن هذا القول غلط خطأ منكر، وأن هذا القول صواب حق، وأن هذا القول يرضي الله، وأن هذا القول يغضب الله، ويعلم على أن من القول ما هو حسن وما هو أحسن، وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن، وقولوا للناس حسنا، ولا يطلق لسانه إلا فيما يرى أن هذا يرجو أن يكون في صحيفة حسناته، ولا يطلق قلمه لأن هذا قول أخبار إلا فيما يرى أن هذا يكون فيما يرجو أن يكون في ميزان حسناته، وهكذا قولاً أو فعلاً ظاهراً أو باطناً، فإن هذه الحياة هي اكتساب ومزرعة، فإما أن تكتسب خيرا أو شرا، وهو من أعطى هذا الاكتساب هو هذا اللسان، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أعظمه من هذا اللسان، قال النبي صلى الله عليه وسلم:"من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة.

وقال :" ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وقد فشى في الأمة كثيرا ما تسمعون وترون من السباب والشتام

في الأقوال والأفعال والإذاعات والجرائد وعلى أولياء الله وعلى الصالحين وعلى الصحابة وعلى الأنبياء وعلى المرسلين وعلى دين الله عز وجل من أناس فراغ، أناس كثير منهم زنادقة، أناس كثير منهم لا يدري ما يخرج من رأسه وما يقول وما يفعل، وهذا يجب فيه التذكير بالله والتحذير من ذلك فإن هذا حوب كبير وذنب عظيم الواجب على المسلمين أن يتنبهوا ذلك، وأن يضبطوا ألسنتهم، وهكذا على غيرهم فإنه قد يقول كلمة يزداد بها عذابه إن كان من أهل العذاب، فإن الكفار يزداد عذابهم بقدر معاصيهم كما قال الله عز وجل:{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88)}[النحل:58].

فيزدادوا، قال : {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (178)}[آل عمران:178].

نتواصى بتقوى الله، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقا السداد في القول والعمل الذي أمر الله سبحانه وتعالى به في كتابه قال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)} [الأحزاب:70،71].

فالقول السديد سبيل مغفرة الذنوب وصلاح الأعمال، وصلاح الأخلاق، وصلاح الحياة كلها كما وعد الله سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين.